

جابرُ عثراتِ الكرامِ والتسلُّل من الأبوابِ الخلفيَّة في العوالم الافتراضيَّة

الأربعاء 8 فبراير 2023 06:55 م

محمد خير موسى

في أيام سليمان بن عبد الملك سادَ رجلٌ من بني أسد اسمه "خزيمة بن بشر"، وكان أمثولةً في المروءة والكرم والمواساة، متقلِّباً في نعم الله الوافرة، فلم يزل على تلك الحالة حتى المَّت به الحاجة، وافتقرَ بعدَ غنى وانغصَّ عنه إخوانه عند احتياجه إليهم وقلاده من كان يواسيهم ويتفضل عليهم.

صاقت عليه الأرض بما رحبت وغلقت في وجهه الأبواب؛ فأنى امرأته -وكانت ابنة عمه- فقال لها: يا بنت العم! قد رأيت من إخواني تغُّيراً، وقد عزمت على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت. ثم أعلق بابه عليه، وأقام يتفوت بما عنده حتى نغد، وبقي حائراً في حاله يضربُ الأحماس بالأسداس.

وكان "عكرمة الغياض" -وقد سمي بذلك لفرط كرمه- والياً على الجزيرة، فبينما هو في مجلسه، إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر، فقال عكرمة: ما حاله؟ فقالوا: صار في أسوأ الأحوال، وقد أغلق بابه، ولزم بيته؛ فتساءل عكرمة الغياض مستهجنأً مستنكراً: فما وجد خزيمة بن بشر مواسياً ولا مكافئاً؟

فلما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد، ثم أمر بإسراج دابته، وخرج سراً من أهله، فركب ومعه غلام واحد يحمل المال، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة، فأخذ الكيس من الغلام، ثم أبعده عنه، وتقدم إلى الباب فطرقه بنفسه، ليكون الحديث ثنائياً والحوار لا يطَّل عليه إلا المتحاورون؛ فخرج خزيمة فقال له: أصلح بهذا شأنك، فتناولوه فرآه ثقيلأً، فوضعه وقبض على لحام الدابة وقال له: من أنت جُعلت فداك؟ قال له: ما جئت في هذا الوقت من الليل وأنا أريد أن تعرفني، قال خزيمة: فما أقبله أو تخبرني من أنت؟ قال: أنا "جابرُ عثرات الكرام"، قال: زدني، قال: لا، ثم مضى، وبقي "جابر عثرات الكرام" لغزأً يبحث عن جوابٍ مدَّة من الزمن.

جابر عثرات الكرام يُبعث من جديد في العوالم الافتراضيَّة

ما إن تنشر فتاةً تغريدةً أو منشوراً يفيمُ همأً، أو يقطرُ حزناً؛ أو يدفق كآبة؛ على فيسبوك أو تويتر، أو تضع صورةً ترمزُ إلى الوجد، أو فيها ملامح الانكسار على الانستجرام، أو تضع مقطعاً مرثياً دامعاً أو مع موسيقى حزينة على سناب شات أو تيك توك حتَّى يسارعَ النَّشامى وأهلُ الشَّهامة إلى التَّسلُّل إلى خلوتها من خلف نوافذ الدردشة ويُبعث جابر عثرات الكرام من جدث الزمن من جديد، ويأتي مثلماً لا ليقدم المال هذه المرَّة بل لينثر كلماته وتعاطفه وعواطفه على الخاص بعيداً عن أعين الجمهور والمتابعين.

وهنا تبدأ فيوضاتُ الإشفاقِ تندفقُ من بين أحرفهم المتحرِّقة عليها، وتندافعُ المواعظُ تتسابقُ بها العباراتُ المزدانةُ باللَّهفة لتسمح حزنها وتبلسم جراحها، وتصدِّق المسكينه أيمانَ الصِّدق والحرم؛ فتشعرُ بالامتنان للمُصلِحِ المختفي وراء اسمٍ وهميٍّ، أو الحريصِ المنتسِرِ وراء هيبه الاسم الصريح.

يقتحمُ عليها خلوتها مع نفسها -لا سيما اللَّيلىَّة منها- من الباب الخلفيِّ، ويقفز في وجهها من بؤابة الدردشة الخاصَّة في مواقع التَّواصل الاجتماعي، ونوافذ الدردشات الثَّنائِيَّة في العوالم الافتراضيَّة، وهي التي تشعر بالحرز المكسو بالملل والوحدة فتجاوب معه لتقطع الوقت وتجاوز عتبة اللَّيل التَّعجيل دون أن تحسب أو تفكّر أصلاً بالمآلات والعواقب.

يقول لها: إنَّه "يرى في عينها حزناً كبيراً" و"يرى في ملامح كلماتها هموماً كبيراً وانكساراتٍ دفينه"؛ ولأنَّها طيبة

القلب في حالة ضعفٍ واحتياجٍ ستتحسّس أحزانها وآلام روحها وتظنُّ أنّه استطاع قراءة أعماقها.

ويقول لها: إنّ "وجد عندها الأمان في هذا الزمن المخيف" و"اكتشفها في زمن التّيه والصّياغ"، وستشعر بالتقدير لنظرتها الثّاقبة ويعطيه قلبها الأمان!

ويقول لها: إنّ "سيكون لها الحزن الدّافئ في هذا الواقع الصعب" وستهرع إليه لأنّها تشعر بالوحدة والعزلة والحاجة إلى المعين!

سيقول لها: "لقد أصبح للحياة طعمٌ مختلفٌ منذ أن عرفها"، وستظنُّ أنّها أيضاً وجدت فيه الطّعم الحلو لوجودها وحياتها!

سيطوّر الأمر ليصارحها بحبّه، وستبادله الحبّ بأكثر منه، وستغرق بأحلام اليقظة عن مستقبل يتدقّق بالسّعادة.

وبعد أن ينال منها واقعاً، ويقضي منها ما كان يخطّط لبلوغه، ويُسبغ غريزته وشهوته، أو ينال ما يريد من محادثات كتابيّة وصوتيّة مغرقة في الشهوة، ويحصل على صورها في وضعيّاتها التي لا تراها فيها أقرب صاحبانها؛ سيدبر لها الطّهر ويدوس كلّ كلامه، ويضع وعوده في سلّة القمامة الشّبيهة بأخلاقه، وينعتها بأوصاف تُشعرها بما لا تتخيّله من الهوان والأذى، وتجعلها تنظر لنفسها نظرةً فيها الكثير من المعاني البائسة، وتحملُ نفسها المسؤوليّة الكاملة عمّا وصلت إليه، فتنزوي إلى ذاتها وتكفر بنفسها وتدخلُ في مرحلةٍ فاسية من الاكتئاب والعزلة.

كيف تتعاملين مع "جابر عثرات الكرام" الافتراضيّ؟

كي لا تتحمّط الحواجز المرفوعة في العالم الواقعيّ تحت أقدام وطأة العوالم الافتراضيّة، وحتّى تُرقّع الجذُر التي تحطّمت في لحظة ضعفٍ وحاجةٍ إلى احتواء؛ وحتّى لا تقعي في ورطات مع عديمي المروءة وقليبي الكرامة؛ فأُنصتي أيتها الكريمة العزيرة:

أولاً: لا تصدّقي الملتئمّين القابعين خلف أسماء وهميّة مهما أظهروا من حرصٍ وحنوٍ وإشفاقٍ، فإنّ جابر عثرات الكرام لا يتسلّل إلى مخادع الغافلات في لحظة انكسارٍ وضعفٍ، ومن يتسرّر خلف اسم وهميّ ينبغي التّعامل معه بالانتهام ابتداءً وعدم فتح الباب له من حيث الأصل.

ثانياً: من يقتنص لحظة ضعفٍ الأنثى وانكسارها وحاجتها إلى من يسمعها ويحتويها؛ فيسارع لينال الثّقة التي تعطيها الأنثى في لحظة ضعفها لمن يمسح بحنانٍ كلماته على جراحها النازفة؛ فغالباً ما يكون ذنباً يلبس جلد الخقل الوديع؛ فاحذريه ولا تصدّقيه ولا تُجاريه ولا تُحاديثيه، فذلك أسلم لنفسك وأريح لرأسك.

ثالثاً: كثيرٌ من هؤلاء الغياري على جراح الإناث وأحزانهنّ لا تسمع لهم همساً، ولا ترى منهم حرقةً، ولا تعرف بوابات الدّردشة وجوههم عندما يكون الذي امتلأت كلماته كلوماً وجراحاً وفاضت عبارته همّاً وعمّاً؛ شابّاً ذكراً، ممّا يدلّ على أنّ العيرة الانتقائيّة التي يسارع بها الكثيرون لنجدة الإناث من كوابيس الهمّ ليست لوجه الله تعالى، بل هي ابتغاء الوجه الحسن والأنوثة الكامنة خلف ستار العوالم الافتراضيّة، فلو أنّ هؤلاء ما حدّثوك إلا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم؛ فلا تصدّقيهم يا ذات القلب الطيّب.

"جابر عثرات الكرام" فكرةٌ راقيةٌ، ونموذجٌ يحتاج منّا إلى تفعيله في عوالمنا الواقعيّة، لا أن نحطّمه ونكسر هيئته في العوالم الافتراضيّة بإلباسه أثواب اللّصوص المتسلّقين إلى قلوب الفتيات المسكينات عبر نوافذ الهمّ المفتوحة في عتمة اللّيلي الثّقيلة.

